

باب للاستسلام وباب للخروج

أحمد بنميمون

1 - في الزمن دائما يوجد ذلك المتسع - 1973 -

في الارض دائما تهبط السيوف لتحد أو تسيج ساعات
نلك المنتأى الذي نكون فيه هارين اضطرارا أو عاندين
خيارا للنلبس الاغلال أو لنسجن في جلدتنا الثوب ، خشية
ان نسقط في عري الكذب .

هل كان ما توقعته حولك وفيك يقينا ؟

تشتعل المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل ، ويبدو الصدق
على الافق مصلوبا خارج ملابسه وجبهة الخفاش محاطة
وموشى صدره بالورد ، في الزمن دائما يوجد ذلك المتسع
- المساحة التي تصلح ان نملأها قبورا أو حدائق ، أن
نملأها بضحكة كالشتميمة أو كاللعنة التي يمكن ان تأخذ
حيزا يشبه الساحة - الغرفة - المقهى : الساحة :
مكان مناسب للاشتعال ، لكن أين من يقوى على تحمل
عذاب التوهج أو توهج العذاب ، يتألف فينا خوف بلا
حدود

الغرفة : ندخل أو نخرج فالزنازن لها ملكة مطلقة في
احتضان الذين يحلمون فيشتعلون في حلمهم .

المقهى : نهرب أو نستسلم فنحن عائدون الى السجن
نفسه نحمل مزيدا من الريح في المقلتين ، مزيدا من
الصور الضوئية في الرئتين . نرتجل النظر في عذابنا ،
والساحة غارقة في الموت ، الصمت ، وفي الزمن دائما
يوجد نلك المتسع - المساحة التي تصلح ان نملأها
سجوننا وبروجا لحراسة الفرحة المغتصبة ، والطريق الى
نلك المتسع لا تعرفه المحطات ، العوانى ...

الى اليابسة لا يسير النبع بيبوسة حقلي الذي تمنيت
ورده لا تعرف الشمس دربا اليه ، أتناسل في ذاكرة

الريح مع تربة خاصم الخصب جذور نباتاتها هاجرها
النبع وفي الزمن يوجد دائما ذلك المتسع لمنع الارض
التي تتألق ظما من تسرب الماء الى حيث يتم الارتواء
في الرحم .

2 - اشتعال المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل :

اراك تقتربين وتشتعلين

كأنك المقبرة في الليلة الثانية بعد القتل

هل لحدود اقربائك الداخلية نفس التوهج الذي لايعاد
ضواحيك كما اراك ؟ تشتعلين أمامي يا مدينة تصرخ في
دماء الآخرين او تفرقين معهم في الدوامة نفسها ، او
تنكرينهم اذا ارتحلوا للبحث عن عقل للاستنكار

وفي العقل دائما يوجد ذلك المتسع : نستنكر فنشتعل
وننفس الشمس والنساء ، وننتظر ان تستنير اليابسة
ان نغير الزمن الذي يصل عبر خيوط الاشعة الى قلب
الارض بالصور الضوئية التي في عيوننا ، ونخترع زمانا
آخر واياما أخرى ، نسميها بالاسماء التي نريد ، ونسمي
الزمن الذي يجري بحسبان تحت اصابعنا بالاسم الذي
نكره ونستهجنه : أوف ... الزمن الانثوي تحكمتنا فيه
رغاب النساء واشباه الرجال ، أسرتهن ان ثعرت فيهن
شهوة نزل فيها الى حضيض المهانة . في الزمن الانثوي
تلمع المراوح كما تلمع عيونهن في ابهاء الاحتفال
بالمخاتلة في القلب متسع للاغنية القيثارة ، تعزفين
تنويمات على عالم يخدع فاصبح الكلمة في حنجرتك ولكن
قولي : هل يمكن ان اعتبر شكوكك من الكلام الساقط
الذي تقبله في زماني بروتوكولات الصالونات ، لا مجرى
له في آذان الشارع او القصر ، في الشارع متسع أحمل
فيه لغتي واتصعلك كما لا تريد مراكز الامن .

اناديك : اقتربي واشتعلي فانا الليلة في قمة مجدي ،
ومهما ضاق المنتأي ففيه دائما متسع للانفراج وللقبض ،
للغياب وللحضور .

تبيكين ؟ تساقط من عيني وتكاثري في ارحامي ومحارتي
يا زهرة النساء التي تهبط او تطلع في سهول تسطحاتي
صاعقة تضحك فتسخر من المسافات . فبينما الجرح
الزمن والزمن الجرح الذي يهدم كل شهوة او نزوة ،
لذا ارفض ان تكوني ذاكرتي فتكتبين تاريخي .

وتاريخي ثياب اخلولقت على اجساد الاخرين للروح
التي عرتها الارض بقيحها وتفسخاتها وزلازلها .

نشيدي فيك ضحية مسكونة بالدمع والندم

وندمي فيك شتاء ينهمر بدعوات القحط التي ترعب
صلواتها عروقي التي استدير حولها . واقوم جدراننا
تنعقد الصواعق على طلائها وحقولا تهصر الرياح اشجارها
وبيننا يقوم دائما الفرق والبحث ، الهنا والهناك .

ومجتمعين تفرقنا مسافة يغسل كلماتها التواليد
مسقوفة بالشوك الذي يقيم في غياب الزهر والثمار في
سلال .

للتبادل دائما توجد هفاك سلال للجراح واخرى للعيون
التي تهبطين فيها زهرة على صدور الرجال .

هل تصبحين اخنا للماضي الذي ينحدر نحوي من الايام
الاتية

وصوتنا احمر ، اخضر ، يذكركني بتكائر الانعام في رحم
لغتي بتوالد الايام في رحم زمني - الانثى : ايتها الانثى
التي اضاجع هلا اصبحت عقيما فتمنع عني تزامم الابناء
هذا ، اني انكر مبدأ الرغبة في الابوة واقر الانكار .

3 - شهادة :

حينما يصبح قلب الشاعر فارغا لا تملأه الا صورة
ذابلة ، اوراق شحبت فيها التذكارات ، حينما تصبح
عين الشاعر فارغة لا تملأها الا الخطوط العمودية والافقية
والحلزونية ، الشوارع والازانات وارقامها ، وكراسي
المقاهي المنعبة ، يتذكر انه استبدل ذاكرته الخضراء
بذاكرة اخرى كالحبة ومغبرة ، يمكن ان يعترف بانه
اصبح اخا للنسيان ، وذاكرته الخضراء كانت في الماضي
اخنا للوردة رأس الشاعر لم تعد تملأ النسمات التي
تحرك في رأس العصفور اوتارا فيغني تهيج في قلبه الصور
الاوراق فتعني ذاكرته التي تاخذ شكل قيثارة باوتار
متداخلة الاصوات ويعرف انشودته فوق جدران لها في
القلب غرفها التي تستدير حولها ::

يا ذاكرتي اللون الذي تختارينه خطير

وانا اخشى اللون الذي يعلق بك بين سوداوية المدن
الاخرى - فندسين ؟ هل يؤنسك الكأس الى هذا الحد ،
يوهمك ان السواد الذي ترينه شبيه بالصباح ؟ يا ذاكرتي

ارتطمت بالدم الطفل الفرح المقتول ؟
اهل تختارين لون الاسفلت تحت العجلات وصراخها اذا
ذاكرتي وخضرتها طفولية .

حينما لا تملأ رأس الشاعر غير عقارب الساعة
يتمزق القلب على الارصفة الغارقة في بحر الخطوات
التي تسير عمودية وأفقية وحزونية ، حينما لا يملا هذا
الرأس :

غير الخوف وهذه المدينة اجمل حدائقه .
غير الخمر وهذه المدينة اشهر ينابيعه
غير الكذب وهذه المدينة اطول سنته
هل يستطيع بذاكرته هذه والوانها أن يتذكر : الحب
والسما والورد والصدق والهوى والقمر والاشجار
والاخضرار والصلاة : (الدعاء بطول العمر : التعب /حيانا)
القلب (خاتمة الرحلة الى ادغال قلب او رحم لم تكتشف
ولم توطأ) .

حينما يصبح قلب الشاعر فارغا الا من أروقة واطلال
دارسة . تمر فوق حزنها اصابع الريح عليقة او عاصفة
يغدو مبررا أن يعلن حزنه ، رغبته في الهدم : الحب :
الموت من أجل الثورة . وينكر أوراق تعريفه الشخصية
الرسمية . يأخذ من عفر الارض حصبة ويودعه الخضرة
بانعة الاثمار .

ويسافر في الموت ، يعبر خلال الموت الى عالمه الانسي
والاخطر كي يشرق فجره مكتمل الفتنة يوفي مناه .

4 - آفاق للعصافير العائدة :

ذاك الصباح كان هناك حزن مؤقت يملك القدرة على
الاستمرار على وجه مدينتي الخائفة الامنة ، كنت أعرف
انها تنظر باستسلام الى الجبل ، وباسترحام الى السماء ،
لم يكن هناك من يقدر على اعلان النقيض .

أيها النقيض هل كان ذلك الحزن سحابة صيف
والخوف سحابة صيف
والامن سحابة امن - حيث تحاصرني وتحاصر في
اقاليم وتزيد ان تمطرها وابلا من نار ، ويطارد صوت
قائدها العصافير يقتل في ذاكرتها :

موسما تتناسل فيه

موسما تغني فيه

وموسما تهاجم فيه :

أيها القائد لن نحضر اليك ، عينا ترسم لنا اقفاصا
للاقامة وقانونا للفناء ، ومبغى نسعى اليه حين نتذكر
الاحباب فسوف نذهب الى الشاعر الذي رسم لنا شجرة
وجلس موثبا في انتظارنا ، قلقا ، لغني معه من اجل
مدينته التي اعتلت بروق قمعك السحاب الذي يطررها
عبا ، وموتا ذاهبون لنطرد الحزن الذي يقيم على وجه
المدينة ، وستزل ارواحنا في اجسام بشرية معافاة
يستكون قوة العقل لنا ويكون هزال الرد لك فلتعسل
البسمة وجه العصفور المقيم في جسد الشاعر
ولتعلو الفرحة وجه المدينة .

د - نواتر في الاعماق :

انفي انطوي على كثير من بساتين الاساءة التي لا تعطي
ثمارا . التي لا تستعمل سيفا ، وهذا يؤسفني ، فلا
تتصورين ان اليقطين والزقوم بعضا من اشجار هذه
البساتين ، اني اسىء حين احب وفي رغبتى ان اتكاثر
كالدمع في عينيك او كالحمرة في خديك او كالزرقة في
تعلقها باسباب السماء او ارتماؤها على امداء البحر ،
للاساءة والتفاهة بينتان .

اسىء حين اعطي للنبي تلوثت رؤيته بالاستقرار
صورة طفل يدفع مركبا صغيرا في موجة صغيرة
وفي رأسه حلم كبير ومركب اكبر وموج مروع ومهول .
واسىء او يراني تافها الذي فقدت ذاكرته القدرة على
التجول في الابعاد . حين اجره خارج عقارب لحظاته .
وارسم معه حلما انسج على قوله للحزن موتا
لوردة الخروج من جحيمننا الكبير تفتحا
وارسم معه حلما انسج على لونه للحزن موتا
على نول حلمي قفازا وزمانا اعشقه واحد دورته كما
البتغي

ولكن عقرب الساعة هو نفس العقرب دائما سواء تالق
بالاخضرار او غرق في بحر من حديد الاصفرار ، ينطوي
على قدر لا يتحمل من التفاهة حيننا ومن الاسامات
أحايين أخرى ، اذا شئت فما انذا اعلن اعتقادي :
تضحك الشمس ليبيكي الانسان فليس من بأس اذا غرقت
في ضحك هستيري مع الليل والكأس أحيانا وراء الشمس

او معها وانا اعرف انها تجري بحسبان ومقدر سقوطي
في لهائي وراءها او معها في الحاليتين معا . فيا ضحكة
الشمس انك تحملين قدرا لا يطاق من الاساءات ، جلدي
يتورم من جرائها ، اني اعلن استنكاري ، فلما ذا
كانت الايام الرمادية والسوداوية لي وحدي وكانت الايام
الضاحكة الممتدة في الاشراق من نصيبك دائما . هل
تعرف الشمس ليلا ، قد يبدو مغرقا في الاساءة الى
الشمس قولي !

ان اشراقك الدائم ظلمة ارضنا ، قد وهبنا خدعات
متعددة :

الفجر ، وفيه تبعثين الى العصافير بنوتات الفناء الذي
لا يتطور ولا يبحث عن اشكال جديدة .

الظهيرة : تتعامدين ، لماذا ؟ اليلعنك الذين بلا مهيل

ام ليشكرك الذين يتجشأون الغازات

الغروب : تمسي خيوطا حمراء وصفراء تتداخل لتلتقي بسوادي

هل تحسبي انك تكررين الخدعة حينما اتبين من جديد
الخيطة الابيض من الخيط الاسود .

انني ابحت عن رفيقة تحول حرن تجوالي ، عن عاشقة

تتسامرنني فلا امل رفقتها كما مللتك ، اني ابحت عز

بطلة لملممتي وشعري اتمركز واعلن : ان البحر يهتف

في البحر والزوارق تفرق في اعماق البحارة وان

اعماق البحارة تطفو على سطوح الزوارق والكل يغرق

في البحث عن بحر يهدأ في البحر ، حتى لا تتحدد ابعاد

الرحلة ، يصبح السفر غيابا في السفر والحب موتا في

الحب ، والغناء نوبانا في الفناء والنجمة سكونا ضوئيا

في النجمة ، والدمعة تمزقا وتحرقا في الدمعة ، وانا

اصرخ في أنا ، وبيننا البحر ، الزوارق ، السفر ، الحب

الفناء ، النجمة ، الدمعة ، وتصبح الدمعة يحرا ،

الدمعة زورقا ، الدمعة حبا ، الدمعة نجمة في افق الايام

اليابسة الخرساء السوداوية ، فكل البحار من ورائنا ،

وانت ايها الزمن - سيوفنا مقلولة - امامنا اثبت اصبعي

في الارض فاكتب القصيدة وحين اتجنر في كل الارض

بكامل حواسي واعضائي اكتب ملحمتي عن الدم والضيء

فتهتف باسمي النجوم يهتف الضوء في الضوء والذات

في الذات فاعلن ان الضوء يرفض

والقلب يرفض

والشعر يرفض هذا الموت الخراب الظلام

تطلع اجسادنا زهرات من الموت .

من الموت نبدأ هذا الهجوم

نمد الجسوم ...

6 - تفتح البنادق - البراعم :

وراء الاوهام والافكار جلست

وراء ازهار اسمى الذي بلا ذبلات

وحروف الحقل الذي بلا تراب ، انكفات يلامس اصبع

كيان الورا الذي لا اعرف له اماما الورا دائما صفات ،

فمن ورائه لا يتفد شيء ، لا يقف شيء ، فكيف اجدني

اصبحت وراء الورا . من انوار نقائصي ، من ظلمات

براهيني اجهد جسمي الذي بلا فكر يريد ان ينقطع او

ينفذ الى واجهة الورا .

لكن من يفوض من ارضفة ميناء طرفته اقدمي يتدلى

لكن من يفوض لا يجيء من يطفو يطفو ، ولا نور من

سماواتي يأتي او يطفو من ارضفة ميناء طرفته اقدمي

يتدلى من سقف الدنيا

من يفوض يجيء يطفو او يتدلى لا يصل الى امام ما

ورائي ، ما امامي الزهرة في الاسم والحروف في حقول

لا اعرف مكانا لالفاظها ، من يدخل الفاظي يتدلى من

سما لغتي من يتدلى من الفاظي ينزل ارضي ويفارقني

مستندا الى ما امامي جاهلا م اورائي وأنا نكرة بين

المنزلتين وراء الاوهام ، امام الاوهام .

لا افكار تتهرب فاستريح ان تبعد عن ميادينني او تحضر

اوهامي فاعيش في مرآتي منظورتي كانت شبحا وفوقي

النجم لم يلمع ، التربة لا تنجب ،

الاثمار والامطار والشموس والاقمار غادرت اشجارها

حقولها سماواتها ولياليها بين اصابعي .

فاصبحت الثمرة الديمة الشمس القمر وغادرتني اصابعي

وسعيت الى الاشجار الحقول السماء الليل وفارقت جسمي

من فارقتني اقام ورائي او امامي وسبح باجنحة

ما خرج من جسمي وما دخل فيه طائر ، الطيور كلها

جسمي

لكنني ان صليت لا عدم تفتتت فطارت اجزائي

ما غادرت الفاظي اغنية ، غابرت اغنياتي ووراما
الجبل الذي لا يتكلم انما سكنت واحجاره في دائرة صحت
ولا باب للدائرة ولا مخرج للمقيم في حضرة الاحجار
من صمت الاحجار ، من نظرة الاحجار ، من امام الاحجار ،
من وراء الاحجار من احجار الاحجار وجبل الجبل وخضرة
الخضرة ودائرة الدائرة من وراء الورا من لانها من
لائي التي تعرف كل شيء ولا تتحدث عن شيء .

لا باب للدائرة لتنفذ اقوالي ، لتخرج الفاظي ، لتشرق
انوارى لتلمع نجومى ، لتعطر سمائى ، لتمر ايامى
وساعاتى بين منظورى وعينى بين ناظر عينى ومنظور
منظورى ، اصحو لي ظما الحجر فانفجر ماء واشتعل
من اين ابدا مشاهدة صحوى واختيار ارتوائى واشتعالى
ابدا ، ييدا انفجارى ، لا ، ميادينه تتسع ، ومن هناك
ييدا خوفى اشتعل في قمة صحوى ، فانفجر كعين يابسة ،
واغنى كطيور ميتة نضب معينى ، ويبس عودى من اين
لي الانفجار والغناء اغنى : فتخرج عن غنائى الخضرة
في الاشجار

تلمع عبنى أو تنظفي فستان فمنظورى اقتحمنى واستوى
في دواخلى وما رأيت ما رأيت أنت مصابيحى وأنا سرب
فراش حائر ، لا ارى اضواءك الا بصوت للنظر في أعماقى
بنظر للصوت خارجى فاحترق فيك ولكنك تعانين نفس
مصيرى .

أنت بابى ودائرتى ومحيطى وما خرجت في تكونى
وتحولت عن كميائك فلم اتصير ولم اتغير حيث الالوان
والانواع والاشكال والاعيار بقيت كما كنت ، فهل ضللت
عن رؤيتى وجوهى . وما بقي منك فيك استمرارى
وثبوتى . انا نزلت عز طلبى ، وان ترفعت ضاع من
لغتك قاموس افتتاح للغتى ، تضيعين في مفازة الوجد
فلا اهتدى اليك او اطفو صافيا ونزيبها من كل شائبة ،
اخرج منك ومنى

لا تخرجين في حال من مجد هواة ، وانت الجاحدة الحاقدة
المترفقة المتوودة . فأين اجدك ام اين تعثرين على آثارى :
لست هناك وهناك كنت هناك وهنا ، انت الهنالك والهناء ،
وانا لا هناك لا هنا . هل اجدك ، هذا سؤالى وبين
اوهامى وافكارى اجلس لا ارى لي وراء ولا اماما . اقبل

ولا ارفض ، اصفو ولا اتكدر ، اطرب ولا احزن ، احزن لا
اسيح لا ترفع القيود عن اجنحتي ، فاغيب ابحت عنك ولا
تحضرين استسلم لماضيك فلا تثورين لحاضري

انت باب للاستسلام أنا باب للخروج .

أثور واتثور فلا أتحدد فامتد واعدو

اتسلح فلا انفرد فاجتمع وابدأ واهدي

اطلب واطالب فلا ياخذني بحثي عنك الى الكف عن

النظر الى حيث تقفين

اسمي البنادق براعم زمن آت

اسمي الشوارع ازهار هذا الزمن تفتحت غربتي فيها

اطلقي تسويحي وترويحي في خطوطها وتقاطيعها

اسمي الغابات مفازة لم تشهد ولادة شجر

اسمي البيوت مقابر لا تحتضن الا الاموات

اسمي ذاتي العجز ولكنني اعترف بانني في قمة صدقي

وصفائي

اسمي الدخول الخروج قيذا ولكنني لا انكر انعتاقي

الذي بلا انشراح وضحكي الذي بلا جنون وجنوني

الذي بلا فرح

اسمي ايادي الضحك الجنون (= الفرحة) في غيبة الفرحة

في حضرة الفرحة الذي بلا طعم .

اسمي بيتي مساحة قبر او زفرانة ، اسمي نفسي ما

يبقى في الاجسام بعد الترفت او في الزهور بعد الذبول ،

وارفض ان ارى فلا ارى بابا في دائرة تفرج ، حزمات

ضوء تقفز بين الارض وبين مقلتي ، يا منظوري فيما

ارى من التماع بين مقلتي والارض ، المسافة بيني وبين

مصيري الذي تحاولين معاناته واسمي معاناتي باسمك

واشعر في تعذيبي فهلا شرعت في تعذيبك ، فالمستقبل

لا يعرف نقطته في ، وحين تكتشفيني مستنطق البنادق .

تفتتح البراعم .

ترفع الغابات اشجارها

ينفض الشارع عن كتفيه اغترابا

فادخل عصري واشرع في الاخضرار

بابا الى الثورة يشرع في الاخضرار

ارفع عن ذاتي اوزارها واناسي التي

استسلمت للزمان الذي عبرتنا حوافر خيله
ما قد خُفّتنا حظاما واطفالنا فقدوا الحنجرة
وصودر الصوت منهم فما عادت اغنياتهم تملأ ساحاتنا
ابغي سلاحا فلا اجد الا البنادق - البراعم
واسمي البنادق افهام الناس
فلن تتفتح بنادق قبل ان تتفتح رغبة الانطلاق
واسمي الانطلاق عين وجودي
اتحدد به أتوحد فيه فتولد امامي شجرة
اسمها التغيير والتصير والتحول والتجدد
تعطي ازهارا تفتح لي بابا للمستقبل

الدار البيضاء 1973

احمد بنميمون

أنياب طويلة في وجه المدينة

قصص قصيرة

مصطفى يعلى
